

هاوية المخدرات

الانسان بجوهره عقل يفكر ولسان يعبر. بعقله اكتسب شرف السيادة فغدا محور هذا الوجود وغايته في تحقيق كينونته وتحقيق ما وجد لأجله.

انه جسر العبور من الوجود المادي اللاواعي الى الله الغاية والنهاية. وهذا الانسان هو ضمير الله في هذا الوجود لأنه وحده الذي يعي وجود ذاته ويعي وجود ما هو كائن خارج ذاته، ويعي ما يشرق عليه من أنوار النعمة الإلهية بواسطة تفاعل العقل الكلي مع النفس الكلية.

ولأن الإنسان بوعيه وعقله هو ضمير الله الحي وخمير عجين خبزه الوجودي أعتبرت عقيدة التوحيد أن رأس الكبائر هي تعدي الانسان على عقله ونفسه لأنها بمثابة اعلان العدوان على الله سبحانه وتعالى.

جاء في ألواح الحكمة الهرمسية: يا أيها المؤمنون ان مولاكم الحق قد أنار عقولكم بالحكمة وأما القاتلون لعقولهم أو لعقول الآخرين فلهم واد قد أعد لهم.ولو فتح لضجت منه نيران الدنيا يقال له السعير.

وجاء في كتاب الله العزيز: من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضلّ فإنما يضلّ عليها. ولا تزر وازرة وزر أخرى وأن لكل امرئ ما سعى.

وما تعاطى المخدرات والإدمان عليها إلا تعد للإنسان على نفسه ومحاولة وقحة لإتلاف عقله او قتله بالكليّة. واذا كنا نعلم أن الانسان لم يكتسب هويته كإنسان إلا بفضل العقل الذي وهب له وهو قبّيس من نور العقل الكلي علمنا أن اتلاف العقل أو قتله هو تنازل للإنسان عن انسانيته وعودته القهقري الى مرتبة الحيوان الأعجم الذي لا يعي معنى ذاته ولا يعي معنى الوجود ولا معنى الألوهة.

وبما ان الانسان كائن اجتماعي بالفطرة كما عرفه أرسطو كان من أهم أسباب تطوره وارتقائه العيش في مجتمع منظم تحكمه أعراف وقوانين توازن بين شرائحه وطبقاته وطوائفه مؤمنة السلام العميق تحت أجنحة العدالة والحرية وتكريس حق كل فرد في العلم والعمل والتفاعل الايجابي مع الآخرين. ولما كان مجتمعنا اللبناني قد تحول بعد حروبه الأخيرة الى

ساحة مفتوحة على صراع الحضارات والايديولوجيات ومراكز القوى الاقليمية والدولية الأمر الذي ساعد على اشاعة الفوضى وأخل بالتوازن العادل بين الفئات وكرّس مبدأ الغاية تبرر الوسيلة. هذا المبدأ الذي عبث بالأعراف والتقاليد وأساء الى هيبة القوانين وأشاع مناخا عبثيا عدميا جعل جيل الشباب ينجذب باتجاه المحرمات التي تحاكي لغة الغرائز الجامحة والعواطف المحمومة.

في هكذا مناخ عبثي عدمي توقف أو كاد عمل العقل الفردي والجماعي والذي هو نظام وتنظيم وعدالة وتوازن ومسؤولية الفرد تجاه نفسه وتجاه المجتمع والله. لتتحرك الغرائز المتفجرة التي تعطي الانسان ملذات سريعة آنية سرعان ما تتقلب على نفسها ويولد من قلب أحشائها ألما وكآبة واحساسا بالمهانة لا حدود له. هذا هو مناخ المخدرات. العقل صامت والغريزة تتكلم، التنظيم في إجازة والفوضى سيدة الموقف، الخير العام مشلول والمصلحة الفردية تصول وتجول، المحبة التي تغذي نزعة الانسان كائن اجتماعي غائبة والكرهية التي تغذي نزعة التعدي على النفس والآخرين في جهوزية تامة. والنتيجة لكل ذلك فكر عدمي وتصرفات عبثية تبتغي لذة آنية سريعة يعقبها احباط فيأس فاضمحلال. قال الله في كتابه العزيز: لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون.

فإنه سبحانه وتعالى قوم الانسان بالعقل ثم جعله ينسفل بمعصية نداء العقل واتباع نداء الغرائز أما الذين آمنوا بأن هذا الوجود قد وجد من أجل غاية ذكرها الكتاب العزيز وما خلقت الخلق إلا ليعبدوني أي ليعرفوني. ومعرفة الله هي في استشعاره في الصدق والتصديق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتيقن بأن هذا الوجود وجود غائي كل سبب فيه يتبع سببه وأن العبثية والعدمية رجس من عمل الشيطان علينا اجتنابه.

في الانسيكلوبيديا البريطانية ورد عن مخدر الكوكايين ما يلي:

لا حصانة لأحد ضد هذه الآفة المدمرة لا القوي ولا الغني ولا المشرد ولا المحبط. وحتى حين لا يفتك الكوكابين بالجسم فانه يفترس الذات ويشنت الارادة مبيدا كل ذرة كرامة وثقة حاملا نزعا أفسى من الموت.

فاذا كان الكوكابين يفعل كل هذه الأفعال المدمرة فكيف اذن بالمخدرات الكيميائية الرخيصة التي تروج حاليا عن تعمد وسوء نية من يروجوها الى جيل الشباب في المدارس والجامعات مستغلين احباطهم وضياعهم في مجتمع فوضوي عبثي ومحاولين اغراءهم بأن المخدرات تنشط قواهم الجنسية وتجعلهم يمارسون فحولتهم ويتباهون برجولتهم خصوصا وأنه لا رقابة من قبل الدولة على الأفلام الخلاعية وشبكات الانترنت التي تحاول عن طريق الترغيب والاغراء بإقناع الانسان أن سعادته هي الملذات وأنه كلما ازداد شذوذا في طلب اللذة كلما حلت السعادة في قلبه وحل هو في قلب السعادة حتى الوصول الى الهاوية. وما أدراك ما الهاوية. يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة قلوب يومئذ واجفة أبصارها خاشعة انه لقول فصل وما هو بالهزل انهم يكيّدون كيّداً وأكيد كيّداً فمهّل الكافرين مهلهم رويدا.

كمال سري الدين

في ٢٢-٠٤-٢٠١٠